

أحاديث رمضان ١٤٣٥ - خواطر إيمانية - الدرس ( ٢٦ ) : الحديث الشريف ( الظلم ظلمات يوم القيامة )

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٤-٠٧-٢٤

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

## الظلم :

أيها الأخوة الكرام ؛ من الذنوب التي لا يؤخر الله عقابها إلى الآخرة ذنب الظلم .

### (( الظلم ظلمات يوم القيامة ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن عبد الله بن عمر]

((يا عبادي إني حرّمتُ الظلمَ على نفسي ، وجعلتهُ بينكم محرّماً، فلا تظالموا))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي ذر الغفاري]

وقد يتبادر إلى ذهن أحدكم أنه ليس قاضياً ، من قال لك إنك قاض ؟ الأب أحياناً يخطئ مع أولاده ، صاحب المحل مع موظفيه ، رئيس الدائرة مع من تحته ، أي لا يوجد إنسان إلا وله ولاية على عدد من الأشخاص ، لو عندك ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، عشرة موظفين .

### (( الظلم ظلمات يوم القيامة ))

لا يوجد ذنب يعجل الله عذابه في الدنيا كالظلم .

أحياناً عنده زوجتان ، الثانية ودودة و بشوشة و الأولى ليست كذلك ، العلماء قالوا : لابد من أن يكون المسكن متشابهاً ، والإنفاق متشابهاً ، والوقت متشابهاً ، وهناك شيء رابع المودة ، هناك بيت :

### ﴿عَبُوسًا قَمَطِرِيرًا﴾

[سورة الإنسان الآية : ١٠]

وبيت ثان ابتسامة ، إذاً يجب أن يكون هناك مودة في العدالة ، حتى لو حمل ابنه والثاني لم يحمله وقع في الظلم ، لأن:

### (( الظلم ظلمات يوم القيامة ))

أي لا يوجد معصية تتسع ، وتتسع ، وتتسع كهذه المعصية ، بشؤون البيت ، بشؤون العمل ، بشؤون السفر ، بتربية الأولاد .

فيا أيها الأخوة :

### (( الظلم ظلمات يوم القيامة ))

وحيثما نزل قدم الإنسان فيظلم ، ويدفع الثمن باهظاً ، ينبغي ألا يعود إلى هذا الظلم .  
يروى أن هناك ثلاث سمكات ، كيسة - عاقلة - وأكيس منها - أعقل - وعاجزة ، فاتفق أن مرّ من هذا المكان صيادان ، فأبصرا الغدير وأبصرا ما فيه من السمك ، وتوعدا أن يرجعا ومعهما شباكهما ليصيذا ما فيه - القصة من كتاب ابن المقفع و هي قصة رمزية - قال : فسمعت السمكات ما يقولان ، أما أكيسهن فارتابت وتخوفت ولم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت ، فلذلك العاقل يحتاط للأمر قبل وقوعها ، أعلى درجة بالعقل أن تحتاط للأمر قبل وقوعه ، أي الابن أخذ بالرياضيات صغراً ، إذا أهملته يرسب ، يجب أن تحتاط للأمر هنا وقع الأمر فالبطولة قبل وقوعه ، تابع دراسته في كل شؤون الحياة ، العاقل الذي يحتاط للأمر قبل وقوعها ، فهذه السمكة الكيسة جداً لم تعرج على شيء حتى خرجت ، هناك فتحة بين الغدير والنهر ، لم تعرج على شيء حتى خرجت من المكان الذي يدخل منه الماء من النهر إلى الغدير فنجت ، إذاً : هي عاقلة احتاطت للأمر قبل وقوعه ، الآن هناك سمكة كيسة لكنها ليست أكيس ، الأكيس نجت ، فالكيسة بقيت في مكانها حتى عاد الصيادان، عندها خطة جاهزة ، فإن عادا الصيادان الفتحة موجودة ، فذهبت لتخرج من حيث خرجت رفيقتها فإذا بالمكان قد سدّ ، الصيادان سدوا الفتحة فقالت : فرطت وهذه عاقبة التفريط لكنها ذكية أيضاً ، تماوتت - عملت نفسها ميتة - فطفت على سطح الماء منقلبة تارة على بطنها، وتارة على ظهرها ، فأخذها الصيادان ووضعها على الأرض بين النهر والغدير فوثبت في النهر فنجت ، لكن أعصابها تحطمت ، نجت لكن بعد شدة نفسية عالية جداً ، قال وأما الثالثة فهي العاجزة الغبية لم تنزل في اقبال وإدبار حتى صيدت .

أخواننا الكرام ؛ القصة بليغة جداً ، الكيس ، العاقل ، الذكي ، يحتاط للأمر قبل وقوعه وهناك أمراض كثيرة في البداية يكون شفاؤها تماماً فيهملها ، وأكثر العالم العربي لا يعالج إلا بعد تفاقم الأمراض فلا يجد حلاً بعد ذلك .

كنت بأمريكا كلما أزور طبيباً أجد أن عيادته ممتلئة بخمسين شخصاً ، أنا كنت أظنهم مرضى فإذا هم يفحصون أنفسهم فحصاً دورياً ، عندهم عادة الفحص الدوري ، لأن أي شيء ظهر بالبداية المعالجة سهلة جداً ، بعد التفاقم لم يبق هناك معالجة .

فيا أخوان ؛ عندك أولاد ، عندك بنات ، عندك مشكلة مع جارك ، بعملك ، مع شريكك، احتط للأمر قبل وقوعه ، مع صهرك أحياناً ، مع أصهارك ، مع أولادك ، العاقل يحتاط للأمر قبل

وقوعه ، والأقل عقلاً يحتاط للأمر بعد وقوعه ، والغبي لا يحتاط لا قبل وقوعه ، ولا بعد وقوعه إلا أنه يدفع الثمن باهظاً .

### البيان يطرد الشيطان :

هذا الدرس يعلمنا تربية الأولاد ، بكسب الأموال ، أحياناً معظم الشركات بدون عقد ، محل شريكين لكنه باسم واحد ، الثاني لم ينتبه ، ينشئ بينهما خلاف يقول له : ليس لك عندي شيء ، هذا المحل محلي ، وهناك حالات كثيرة انتهت بجلطة ومات هذا الشخص لأنه لم يتحمل هو قد دفع النصف ، الثاني أقوى لأن المحل باسمه ، قبل أن تبدأ الشركة اعمل عقداً عند المحامي ، صدقه بمحكمة البداية ، أنت الآن شريك في النصف ، أنا لا أعتقد أن أحداً يفعل ذلك إلا القليل فقط بعد ذلك ينشأ الخلاف ، والخصومات ، والمهاترات ، ثم للقضاء ، المظلوم لا يوجد معه ورقة أبداً ، يحلف يمينا ، قال له : هل تحلف ؟ قال : جاء الفرج ، يحلف يمينا ، فالمال غال والمال أحياناً يعادل الروح ، فتضع نصف مالك و لا يبقى لك شيء ، فيجب أن يكون عندك عقود، وإيصالات ، أنت أحياناً تدفع مبلغاً ضخماً كيف تدفع بدون وصل ؟ يقول لك : أنا واثق منه ، هذا الجواب خاطئ، واثق منه فعلاً ، لكنه ماذا لو مات بحادث ؟

أقسم لي إنسان أن أحدهم طلب منه ستمئة ألف - هذه القصة قديمة جداً من ثلاثين سنة كان الدولار بثلاث ليرات سوري ، الآن بمئة وخمسين ليرة - طلب ستمئة ألف فأعطاه المبلغ و لم يأخذ منه وصلاً ، فهذا الذي أخذهم مات بحادث ، و الثاني لا يوجد معه وصل ، ولا ورقة ، والورثة لم يعترفوا بذلك .

فدائماً خذ الاحتياط الأول مع شركائك ، المحل بينكم اعمل عقداً ، لك النصف اكتب في العقد ، الآن أنت تريد أن تحضر بضاعة ابعت للشركة المواصفات الدقيقة ، أنا أقول كلمة تجارية عميقة: الجهالة تفضي إلى المنازعة ، يقول أحدهم للآخر : عندي محل تعال خذه ، سأله عن الأجرة فقال له : لا فرق بيننا ، هذا أخذ المحل و لم يعد يريد الخروج منه فتقاتلوا ، ثم ذهبوا إلى المحاكم ، قبل أن تأخذ المحل بكم الأجرة ؟ البيان يطرد الشيطان .

هل يوجد بالأرض إنسان راق إلى القمة غير رسول الله ؟ كان يمشي مع زوجته بالمدينة مرّ صحابي قال له : هذه زوجتي ، قال : أفيك نشك ؟ لنلا يدخل الشيطان بينكما ، هذه زوجتي . بين ، وضّح ، لي صديق عنده محل تجاري ، وعنده سفرة في اليوم الثاني ، نسي السندات بالمحل ، جاء الساعة الثانية عشرة بالليل إلى المحل والأسواق مغلقة و هناك حارس ، قال له : أنا نسيت السندات بالمحل ثم أراه إياهم ، القاعدة الرائعة : البيان يطرد الشيطان . إذا العاقل يحتاط للأمر قبل وقوعه .

الآن لا يوجد شيء مؤلم كالظلم ، وأكثر شيء بين الأولاد ، وبين الأصدقاء ، يأتي الصهر إلى بيت والد زوجته ، دلال ، إكرام ، عزائم ، يأتي الثاني فنجان قهوة ، لا يتحمل هذه المعاملة ، و لكن قد يكون أحدهما أذكى من الثاني ، وصاحب لباقة أكثر ، لكن نكاهه ، ولباقته ، وذوقه لا علاقة لها بالعدل ، أحترمه على هذا الشيء لكن أعطيه حقه كاملاً ، وكذلك الأقل نكاهه أعطيه حقه كاملاً .

قال لي أحدهم : عندي ولد فهيم جداً ، قلت له : والثاني عندما تحرمه تزدده عقوقاً ، أعط المبلغ بالحق ، ولا دخل للميل ، والمحبة ، والذكاء ، والفهم ، والكياسة بالدفع ، كن عادلاً فالعدل يسع الجميع ، وأساساً لن تقوم الأرض إلا بالعدل .

### ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١١٥]

والحياة لا يصلحها إلا العدل ، أنا أقول كلمة : هناك إنسان عنصري ، و إنسان إنساني، من هو العنصري ؟ أي إنسان يتوهم أن له ما ليس لغيره ، وأن على غيره ما ليس عليه ، وما دام في الأرض عنصرية فالحروب لن تقف .

مثل بسيط من واقع الأسر: يمضي السهرة كلها بالسخرية من أم زوجته ، وإن تكلمت عن أمه كلمة تقوم الدنيا ولا تقعد ، هذا عنصري ، وحق الفيتو عنصري ، لماذا خمس دول إذا قالت لا للتغي القرار ؟ هذه عنصرية ، وأقول لكم كلمة ثانية : ما دام هناك عنصرية بالأرض فالحروب لن تقف أبداً ، الأرض لا يصلحها إلا العدل ، البيت بحاجة إلى العدل ، والبلاد الواسعة الشاسعة تحتاج إلى العدل ، ألغ العدل دخلنا بالحروب ، والمنازعات ، والثورات وما إلى ذلك ، وأساساً لا يوجد ثورة بالأرض قامت إلا بعد ظلم ، أي هناك فئة لها كل شيء ، و فئة ليس لها شيء ، أحياناً يكون هناك أشياء معنوية ، إنسان له مكانة يستشار بكل قضية ، والثاني يهمل دائماً ، فأنا أقول : وراء المنازعات كلها العنصرية ، والظلم ، فالذي يجب أن يكون بيته سليماً ، منضبطاً ، هادئاً ، الكل ساكت فليعدل ، لأن العدل يسكت .

أنا أقول مثلاً بالتدريس : صححت الأوراق ، ووزعتهم على الطلاب ، وهناك سلم كتب على السبورة ، تقول الكلمة الفلانية أخذت ربع علامة ، الثانية ربع ثانية ، سلم الأوراق بين يديك ، وزعت الأوراق ، إذا كان التصحيح صحيحاً تسأل هل هناك سؤال ؟ الكل ساكت ، العدل مسكت ، الظلم يدفعك إلى الكلام ، والتطاول أحياناً ، فمن أراد أن يعيش حياة هادئة ، فيها هدوء ، فيها رحمة، فيها محبة ، عليه أن يكون عادلاً ، إذا كان عنده زوجتان بين الزوجتين ، عنده صهران بين الصهرين ، عنده بنتان بين البننتين ، دائماً اعدل ، والعدل أساس الراحة النفسية والملك ، هنا كلمة مشهورة : العدل أساس الملك.

## العدل كمال و فضيلة و حضارة :

أخواننا الكرام ؛ الموضوع واسع جداً ، أحياناً هناك ظلم معنوي ، وظلم مادي ، أحياناً يجتمعان ، ودائماً لا يوجد واحد من الحاضرين وأنا واحد منكم إلا وعنده قيادة بين أولاده ، قيادة بين زوجاته ، بين أصهاره ، فلا يوجد إنسان إلا وله إشراف على عدد من الأشخاص ، ما دام هناك عدل فهناك محبة ، و توافق ، ودائماً الابن المظلوم يحقد وإذا أعطاه والده مبلغاً أقل يحقد أكثر ، يكون قد زاده عقوقاً .

فأنا والله هذه نقطة دقيقة ، لأن كل إنسان له عمل في الدعوة تأتيه آلاف المشكلات يعالجها ، ما وجدت مشكلة تفوق في حياتنا مشكلة الظلم أبداً ، دائماً هناك ألم من عدم العدل ، فإن أردت أن ترتاح وتريح اعدل ، والعدل أساس الملك ، والعدل فضيلة ، والعدل كمال ، والعدل حضارة ، والعدل يقوم على أسس متينة .

## ظلم النفس أشد أنواع الظلم :

أخواننا الكرام ؛ هناك نقطة أريد أن أقولها دقيقة جداً : أشد أنواع الظلم أن تظلم نفسك ، الله عز وجل أعطاك هذه النفس كي تصل بها إلى الجنة ، أنت اهتمت بالدنيا ، وقد يكون اهتمامك بشيء مباح ، الشيطان ماذا يفعل ؟ يوسوس لك بالكفر ، وجدك على إيمان دخل معك بالشرك ، وجدك على توحيد دخل معك بالكبائر ، وجدك على طاعة دخل معك بالصغائر ، وجدك على ورع بقي معه التحريش بين المؤمنين ، وبقي معه المباحات ، تجد بذخاً ليس طبيعياً ، مال حلال ، لكنه قد يذل بالبيت عشرة أضعاف ما يستحقه ، وكلما جاءه ضيف دعاه لرؤيته ، أحياناً إنسان تزل قدمه ، يريه البيت ، أربعمئة و خمسون متراً ، وهذا البلاط من إيطاليا ، ما دخل الضيف بهذا الموضوع؟ هو يريد أن يفتخر ، افتخر بعمل صالح ، افتخر بطاعة ، افتخر بخدمة ، افتخر بجمعية خيرية ، افتخر بإطعام الجائعين ، والله هناك أعمال صالحة لا يعلمها إلا الله ، أنا أقول دائماً : الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق ، الأعمال الصالحة لا تنتهي .

والله أسمع أنه كان هناك أوقاف بالشام ، وقف للتوفيق بين كل زوجين ، لكن عليك أن تبلغ أنت أن هناك زوجين عنوانهم كذا ، هاتفهم كذا و هم على خلاف ، يأتي خبراء ، علماء نفس معهم سيارة ومعهم مؤسسات هذا عمل إيجابي ، يكون عمك بناء الأمة .

## حجمك عند الله بحجم عملك الصالح :

الكلمة الدقيقة والأخيرة : حجمك عند الله بحجم عملك الصالح ، ولا تندم على شيء عند الموت إلا على عمل فاتك أن تعمله أبداً ، أحياناً إنسان يضع وردة على صدره ، العمل الصالح ليس

وردة تضعها على صدرك ، العمل الصالح مثل الهواء تستنشقه كل يوم ، علة وجودك في الدنيا العمل الصالح .

### ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾

[سورة المؤمنون الآية : ٩٩\_١٠٠]

الواقع مؤلم ، إذا طلب أحدهم منك شيئاً لا تقصر ، الموضوع أعمق بكثير ، طلب منك شيء لا تقصر ، لكن المفروض أنت عندما تستيقظ صباحاً تقول : يا رب هب لي عملاً صالحاً يرضيك ، فأنت تمشي بالطريق تبحث عن عمل صالح يرضي الله ، أبواب الأعمال الصالحة لا تعد ولا تحصى ، و الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق .

### والحمد لله رب العالمين